تطور الفكر العقدي بين السنوسي و ابن باديس

أنيسة زغدود

جامعة الحاج لخضر باتنة

تمهيد : في إطار المحور الرابع الوحي و التجديد المعاصر في المرجعية الفقهية و العقدية ، ارتأيت أن أقدم دراسة مقارنة من الناحية العقدية بين عالمين من علماء الجزائر الأفذاذ في مرحلتين مختلفتين من تاريخ الجزائر هما الإمام محمد بن يوسف السنوسي و الإمام عبد الحميد بن باديس .و ذلك من خلال الرجوع إلى كتاب (شرح أم البراهين) للسنوسي ، و كتاب (العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية) لابن باديس و اخترت أن يكون عنوان المداخلة (تطور الفكر العقدي بين السنوسي و ابن باديس) ، مساهمة في بيان جهود هاذين العالمين في مجال خدمة العقيدة . و قد أنجزت هذه الدراسة في العناصر الاتية : 1 – عصر السنوسي و عصر ابن باديس .2– أهمية الكتابين . 3– وصف الكتابين . 4– محتوى الكتابين . 5 – أهم الملاحظات و نتائج الدراسة .

1 - عصر السنوسي و عصر ابن باديس :

أ– **عصر السنوسي** :وجد السنوسي في القرن التاسع الهجري حيث توفي في (885هـ– 1490م) ، وذلك في عهد الدولة الزيانية بتلمسان ، و تميز عصره من الناحية السياسية : بالزحف المسيحي على دار الاسلام بالأندلس حيث تواصل سقوط المدن و المعاقل تباعا في أيدي الأعداء ، و أصبح خطر العدوان المسيحي يهدد موانئ الشواطئ المغربية .[1]

أما الحياة الدينية في هذا العصر فقد امتازت بانتصار المذهب المالكي في الفقه بصفة نهائية ، إذ استعاد فقهاء المالكية الذين كان ابن تومرت قد ثار على مفهومهم للدين مكانتهم ، كما رسخ مذهب الأشعري في نفوس الناس من العامة و الخاصة ، كما استرجع علم الحديث و علم الأصول مكانتها بعد أن ابتعد عنها فقهاء المالكية في عصر المرابطين كما تغلب الفكر الصوفي على أكثر مظاهر الحياة .[2]

و أصبحت الثقافة تحمل عناصر التدهور و الانحطاط ، لكن الحركة العلمية بقيت نشطة فقد أنجب هذا العصر العديد من العلماء ، ترك بعضهم مصنفات احتفظت بقيمتها إلى الآن . غير أن استمرار النشاط العلمي لا يعني

[1] –محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط في القرن التاسع الهجري (15م) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1902م ، دط ، ص 48 .

[2] – محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، ص 48.

ازدهارا علميا ، إذ اقتصرت مساهمة أكثرهم على وضع الشروح و التعاليق على المصنفات المتداولة في القرن التاسع ، و على جمع ما أنتجته قرائح الشعراء و الكتاب القدامى .[3] و لعل من أهم العوامل في تصدر تلمسان حركة النشاط الثقافي أنها كانت ملجأ لعلماء الأندلس و للأسر الأندلسية المهاجرة بدينها من الزحف الصليبي المسعور .[4]

ب- عصر ابن باديس : عاش عبد الحميد بن باديس (1889م – 1940م) في عصر تمكّنت فيه فرنسا من بسط هيمنتها على كامل القطر الجزائري،بعد سنوات طويلة من الصّراع مع المقاومة الشعبيّة المستميتة للجزائريين.

ومع بداية القرن العشرين، كانت الحياة الدينيّة والفكريّة في الجزائر، قد وصلت إلى الحضيض من حيث الفساد والجمود والانحطاط العام، نتيجة لتخريب الاستعمار المتعمد لمراكز الثقافة الإسلامية ولسيطرة الطرق الصوفية على الشعب روحيا وفكريا [5] بسبب نفوذها الواسع.

و الحياة العامّة في الجزائر في عصر ابن باديس كانت تتّسم بظلم الاستعمار الفرنسي وتسلّطه على جميع مجالات الحياة، بل وغطرسته التي تجاوز فيها حدود الاستعمار المادّي، حين عمل-جاهدا وبخبث- على محو الشخصيّة الجزائريّة من الوجود، بكلّ أبعادها الدّينية والرّوحية واللغويّة والاجتماعيّة ليصنع منها "الجزائر الفرنسية " وليوقف نموّها الطبيعي كأمّة ومجتمع وتاريخ وحضارة. ولكن بعد الحرب العالمية الأولى ظهر نوع من الانفراج والوعي السياسيّ، وبدأت بوادر صحوة وطنية،ما لبثت أن نمت وتطوّرت حتّى صارت حركة وطنيّة ونهضة اجتماعيّة.

2- أهمية الكتابين :

ا –كتاب شرح أم البراهين للسنوسي : على الرغم من أن طور السنوسي هو الطور الثالث من أطوار الأشعرية في المغرب العربي و هو يمثل مرحلة تدهور و تراجع ، إلا أنه يوجد تطور كمي و تراكم لمؤلفات عقدية مما حافظ على تكريس المذهب الأشعري، و كان دور السنوسي إعادة بناء المذهب حيث أن "كتابه أم البراهين "لا يشد انتباه الباحث برأي طريف أو فكرة جديدة أو طرح جديد لقضية من قضايا الأصول و إنما بالمنهج المدرسي الذي اتبعه السنوسي باقتدار و أصبح علامة من علامات الفترة التاريخية التي عاشها السنوسي أو سبقته بقليل ، و ما لحقها من فترات .[6]

---

[3] – محمود بوعياد، المرجع نفسه ، ص 49- 56 .

[4] – أبو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، تحقيق و تعليق مصطفى محمد الغماري ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م ، ص 6.

[5]– تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربيّة في الجزائر، ص 126 _127.

[6] – محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، ص 7- 8 .

لقد أصبح للسنوسي حضور كبير في درس العقيدة الاسلامية في القرن التاسع و ما بعده لأن مؤلفاته صارت عمدة رئيسة في الاحتجاج و التدريس و بقي لها أثر إلى يومنا هذا [7] .

ب – كتاب العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية لابن باديس : هو تطبيق علمي عملي للمنهج الذي اقتنع به ابن باديس في تدريس العقيدة والدعوة إليها وهو منهج القرآن الكريم، متجاوزا عيوب علم الكلام التّي سجلها في نقده لعلماء الكلام وأيضا لطريقة تدريس علم العقيدة. و هذا الكتاب الذي يخلو من أقوال العلماء و مذاهب المتكلمين هو على قدر كبير من الدقة و العمق و النفع ، إذ طريقة تأليفه تصل المسلم مباشرة بمصادر عقيدته الثابتة الصحيحة و السهلة الواضحة .

و قد وصف الإبراهيمي العقيدة التي جاءت في هذا الكتاب بقوله : " فجاءت عقيدة مثلى يتعلمها الطالب فيأتي منه مسلم سلفي ، موحّد لربه بدلائل القرآن كأحسن ما يكون المسلم السّلفي ، و يستدل على ما يعتقد في ربه بآية من كلام ربه لا بقول السّنوسي في عقيدته الصّغرى : أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم." [8]

3– وصف الكتابين :

ا – كتاب شرح أم البراهين للسنوسي : ذكر السنوسي في مقدمة كتابه أن أهم ما يشتغل به اللبيب العاقل في هذا الزمان الصعب – بسبب كثرة البدع و قلة من يتصدى للرد عليها _ هو السعي لإنقاذ مهجته من الخلود في النار، و لا يكون ذلك إلا بإتقان عقائد التوحيد على الوجه الذي قرره علماء أهل السنة. و تحت تأثير هذا الدافع ،وضع بفضل الله تعالى عقيدة صغيرة الجرم كثيرة العلم محتوية على جميع عقائد التوحيد ثم أيدها بالبراهين القاطعة القريبة إلى كل نظر سديد ، ثم ختم هذه العقيدة بشرح كلمتي الشهادة التي لا غنى للمكلف عن معرفتها ، ثم ها هو ذا في هذا الكتاب يمد القارئ بشرح مختصر لهذه العقيدة يكمل المقصود بتوضيح ما خفي منها . [9]

ب– كتاب العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوّية : عبارة عن دروس في العقيدة الإسلاميّة ألقاها ابن باديس على تلامذته في الجامع الأخضر بقسنطينة ونشرها من إملائه تلميذه محمد الصالح رمضان وعلّق عليها، وقدّم لها بقلم الشيخ محمّد البشير الإبراهيمي. قال محمّد الصّالح رمضان "تلقيت هذه

[7] – عمار جيدل ، التأليف في درس العقيدة في الجزائر خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن التاسع الهجري – المدرسة السنية نموذجا – مجلة الدراسات العقدية و مقارنة الاديان ، عدد خاص باعمال الملتقى الدولي الاول حول الفكر العقدي عند علماء الجزائر ، ايام 19– 20 افريل 2005م ، ع 2، ربيع الاول 1426 هـ /افريل 2005 م ، ص 244.

[8] _ عبد الحميد بن باديس ، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ،رواية وتعليق محمد الصّالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائريّة مرازقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، ط 2 ، دون تاريخ، ص 18–19 .

[9] –محمد الدسوقي ، حاشية محمد الدسوقي على شرح ام البراهين لمؤلفها محمد السنوسي ، و بهامشها الشرح المذكور، دار الطباعة بمصر ، 1290 هـ ، ص 17–22– 23–26.

الدّروس إملاء عن أستاذنا مباشرة في حلق دراسيّة مسجدية بالجامع الأخضر بقسنطينة في الفترة ما بين 16رجب 1353هـ و 25صفر 1354هـ الموافقة لأكتوبر 34 و ماي 35من السنة الميلادّية أي في ثمانية أشهر بنسبة حصّة واحدة في الأسبوع، لا تتجاوز الثلاثين دقيقة وسط جمع من الطلاب يقارب أحيانا المائة ."[10]

4- محتوى الكتابين :

ا – محتوى كتاب شرح أم البراهين : مدخل ، مقدمة المؤلف ، الحكم العقلي ، أقسام الحكم العقلي ، التقليد ، الواجب في حقه تعالى ، المستحيل في حقه تعالى ، الجائز في حقه تعالى .البراهين : برهان وجوب الوجود ، برهان وجوب القدم ، برهان وجوب المخالفة للحوادث ، برهان وجوب قيامه تعالى بنفسه ، برهان وجوب الوحدانية ، برهان وجوب صفات المعاني لله تعالى ، برهان وجوب السمع ، برهان الجائز في حقه تعالى .الرسالة و الرسل : برهان وجوب صدق الرسل ، برهان وجوب كمالهم ، دليل جواز الأعراض البشرية في حقهم . شرح كلمة التوحيد ، الخاتمة .

ب- محتوى كتاب العقائد الإسلامية : وقد تضمن فهرس الموضوعات بعد حذف التقديم: قواعد الإسلام ، بيان معنى الإسلام، بيان معنى الإيمان، تحصيل ممّا تقدّم ، بيان معنى الإحسان، عقائد الإيمان، الإيمان بالقدر، الإيمان بالملائكة عليهم السلام، الإيمان بكتب الله تعالى، عقائد الإيمان بالرّسل عليهم الصّلاة والسلام، ختم الرّسالة وعمومها، ، عقائد الإيمان باليوم الآخر.

نظرا لأهمية ما جاء في الكتابين فضلت بيان أوجه التشابه و الاختلاف من خلال ثلاث مباحث أساسية و هي : أولا: النظر و التقليد . ثانيا : الصفات . ثالثا : القدرة و الاختيار.

أولا : النظر و التقليد :

ا- كتاب شرح أم البراهين : بعد ذكر أقسام الحكم العقلي ، أفرد السنوسي مبحثا للتقليد جاء فيه : و يجب على كل مكلف شرعا أن يعرف ما يجب في حق مولانا جل و عز و ما يستحيل و ما يجوز ، و كذا يجب عليه أن يعرف مثل ذاك في حق الرسل عليهم الصلاة و السلام .وقال في الشرح :و المقصود أو المطلوب في عقائد الايمان المعرفة و هي الجزم المطابق عن دليل ، و لا يكفي فيه التقليد و هو الجزم المطابق في عقائد الإيمان بلا دليل . [11]

ثم انتقل إلى ذكر حكم المقلد عند العلماء فقال : و إلى وجوب المعرفة و عدم الاكتفاء بالتقليد ، ذهب جمهور أهل العلم كالشيخ الأشعري و القاضي أبي بكر الباقلاني و إمام الحرمين و حكاه ابن القصار عن مالك أيضا ، ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة ، فقال بعضهم : المقلد مؤمن إلا أنه عاص بترك المعرفة التي ينتجها

[10]– عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، ، ص 13.

[11] – ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 25.

النظر الصحيح ، و قال بعضهم ،انه مؤمن و لا يعصي إلا اذا كانت فيه أهلية لفهم النظر الصحيح ، و قال بعضهم : المقلد ليس بمؤمن أصلا و قد أنكره بعضهم[12] .

ثم ذكر رأيه في المسألة : و الحق الذي يدل عليه الكتاب و السنة وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه شرطا في صحة الايمان أم لا [13] .و جاء في حاشية الدسوقي : أي فيكون واجبا وجوب الأصول او لا فيكون واجبا وجوب الفروع ،(و الراجح أنه شرط)[14] يعني في صحة الايمان بمعنى أنه لا يوجد ايمان و لا يتحقق إلا اذا نشأ عن نظر و أما إذا نشأ عن تقليد فلا يحصل الايمان و يحصل الخلود في النار ،قال الدسوقي :ان هذا خلاف الراجح ، وان الراجح ان النظر واجب وجوب الفروع في حق من فيه أهلية النظر و حينئذ المقلد الذي فيه أهلية النظر مؤمن عاص فقط و إيمانه منج له من الخلود في النار .و أما ان كان ليس فيه أهلية للنظر فهو مؤمن غير عاص . [15]

ثم سرد السنوسي رأي ابن العربي في مسألة التقليد و هي أن المعرفة واجبة و أن النظر الموصل إليها واجب وجوب المعرفة حسب قاعدة الأصوليين : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، واستفيد منه عدم إيمان المقلد [16] . وبعد أن أورد جواب ابن عربي على هذه المسألة قال: هذا كلام ابن العربي و هو حسن وقد استشكل القول بأن المقلد ليس بمؤمن لأنه يلزم عليه تكفير أكثر عوام المؤمنين و هم معظم هذه الأمة و ذلك مما يقدح فيما علم أن سيدنا و نبينا و مولانا محمدا صلى الله عليه و سلم أكثر الانبياء اتباعا و ورد أن أمته المشرفة هي ثلثا أهل الجنة . [17]

و بعد هذا التعليق ذكر رأيه في المسألة بكل وضوح فقال : و أجيب : بأن المراد بالدليل الذي تجب معرفته على جميع المكلفين هو الدليل الجملي الذي يحصّل في الجملة للمكلف العلم و الطمأنينة بعقائد الإيمان بحيث لا يقول قلبه فيها : لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته ، و لا يشترط معرفة النظر على طريق المتكلمين من تحرير الأدلة ، و ترتيبها و دفع الشبه الواردة عليها ، و لا القدرة على التعبير عما حصل في القلب من الدليل الجملي الذي حصلت به الطمأنينة و لا شك أن النظر على هذا الوجه غير بعيد حصوله لمعظم الأمة ..[18] و هذا

[12] – ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 25.

[13] – ابو عبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 25.

[14] - محمد الدسوقي ، حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين ، ص 66.هذه العبارة سقطت في شرح ام البراهين و مثبتة في حاشية الدسوقي .

[15] – محمد الدسوقي ، المرجع نفسه، ص 67.

[16] – ابو عبد السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ص 25.

[17] – المصدر نفسه ، ص 26.

[18] – المصدر نفسه ، ص 27.

يعني أن معرفة العقائد واجبة وأن التقليد لا يكفي ، و أن المطلوب في النظر لعامة المسلمين هو الدليل الإجمالي و لا يشترط النظر على طريقة المتكلمين من تحرير البراهين .

ب – كتاب العقائد الاسلامية : جعل ابن باديس أوّل واجب على المكلّف هو النّطق بكلمتي الشهادة وفهم معناهما مع التّصديق التّام والاعتقاد الجازم.ولم يشترط النظر والاستدلال العقلي لصحّة الإيمان حيث أوضحت المسالة العاشرة من قواعد الاسلام أن حصول اليقين بإخبار الرّسول كاف في الايمان .[19]

و في حكم النظر و طريقته يقول ابن باديس : " يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله ويستعمل عقله للفهم ، كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسلام . "[20] واستدل بقوله تعالى: ﭽ ﮈ ﮉ ژ ژ ڑ ڑک ﭼ يونس: ١٠١ ، وقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ عبس: ٢٤ وقوله تعالى: ﭽ ٹ ٹ ٹ ٹ ﭼ الطـارق: ٥، وقوله تعـالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الغاشـية: ١٧ - ٢٠ فالملاحظ كما جاء في هذه الآيات أنّ النظر المطلوب هو النظر في مخلوقات الله تعالى من عـا لم الحسّ والشهادة ، وهذا النّظر في إمكان كلّ إنسان صحيح العقل والحواس، يوصله إلى تعميق الفهم لكلمتي التوحيد والإيمان، ومنطلق هذا النظر كما هو ملاحظ هي آيات القرآن التّي دعت إليه، وهذا ما نجده في المسألة الثانية عشر فقد حدّدت أنّ النظر الواجب على المكلّف هو النظر على الطريقـة التّي جـاء بهـا القـرآن كمـا في الآيـات المتقدمـة.[21] ولـيس علـى طريقـة المتكلمـين حيـث التركيـز علـى البراهين العقلية.

وقـد اسـتدل ابـن بـاديس علـى هـذا الرّأي بقولـه تعـالى: ﭽ ﯯ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ التوبــة: ٦ ووجـه الدّلالـة مـن هـذه الآيـة، أنّ الله أمـر رسـوله أن يجـير مـن طلـب جـواره مـن المشركين حتّى يسمع كلام الله منه صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ هو بالخيار إن شاء أسلم .[22] والذي يستفاد من هذه المسألة أنّ المطلوب هـو النّظر في آيات الله الكونيّة والسّمعيّة بطريقة القرآن الكريم، ولا يشترطه ابن باديس لصّحة الإيمان وإنّما لكماله.

كمـا أرشـد إلى كيفيـة إزالـة الشـبهة فقـال : "مـن عرضـت لـه شـبهة وجـب أن يبـادر إلى إزالتهـا بـالنظر بنفسـه، أو بسؤال غيره من أهل العلم."[23] وهذا أمر من شأنه أن يحافظ على سلامة الإيمان وصحّة العقيدة بأحسن السبل التي تنير القلب وتبصره بالحق والصّواب وهو العلم. وكانت الأدلة التي استدل بها ابن باديس هي قوله تعالى : ﭽ

[19] – عبد الحميد بن باديس، ، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص 38.

[20] – المصدر نفسه ، ص 38.

[21] – المصدر نفسه، ص 39.

[22]– أبو بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، مج 1، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 3، 1419هـ – 1998م، ص 536 - 537 .

[23] – عبد الحميد بن باديس،، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص 40.

ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ يونس: ٩٤ ، و ﭽ ﭖ ﭗ
ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ النحل: ٤٣.

ثانيا : الصفات :

ا– في شرح أم البراهين :مبحث الصفات عند السنوسي هو الأوسع فقد أوجب لله تعالى عشرين صفة : صفة الوجود وهي نفسية راجعة للذات ، و خمس صفات سلبية مدلول كل واحدة منها عدم أمر لا يليق بمولانا جل و عز و هي :القدم و البقاء و مخالفته تعالى للحوادث و قيامه تعالى بنفسه و الوحدانية أي لا ثاني له في ذاته و لا في صفاته و لا في أفعاله .وهي في حقه تعالى على ثلاثة أوجه :أحدها نفي الكثرة في ذاته تعالى و تسمى الكم المتصل .الثاني : نفي النظير له تعالى في ذاته أو صفة من صفاته و يسمى الكم المنفصل .الثالث انفراده تعالى بالايجاد و التدبير العام بلا واسطة و لا معالجة ، فلا مؤثر سواه تعالى في أثر ما عموما قال جل من قائل : ﭽ   ﭼ القمر: ٤٩ و قال تبارك و تعالى : ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الصافات: ٩٦ " [24].

و سبع صفات تسمى صفات المعاني و هي كل صفة موجودة في نفسها و هي القدرة و الإرادة المتعلقتان بجميع الممكنات ، و العلم المتعلق بجميع الواجبات و الجائزات و المستحيلات ، و الحياة و هي لا تتعلق بشيء ، و السمع و البصر المتعلقان بجميع الموجودات ، و الكلام الذي ليس بحرف و لا صوت و يتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات وكلام الله تعالى القائم بذاته هو صفة أزلية...و كنه هذه الصفة و سائر صفاته محجوب عن العقل كذاته جل و عز .[25]

ثم سبع صفات معنوية ملازمة للسبع الأولى ، لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بالسبع الأولى و هي صفات ثابتة قائمة بذاته تعالى : و هي كونه قادرا و مريدا و عالما و حيا و سميعا و بصيرا و متكلما [26].

أما المستحيل على الله تعالى فهي أيضا عشرون صفة و هي أضداد العشرين الأولى مثل العدم و الحدث و طروء العدم و العجز و عدم الإرادة و الجهل و الموت و الصمم و العماء و البكم و غيرها... [27]

أما الجائز في حقه تعالى من الصفات ففعل كل ممكن أو تركه فيدخل في ذلك الثواب و العقاب و بعث الأنبياء و الصلاح و الأصلح للخلق لا يجب عليه شيء من ذلك تبارك و تعالى و لا يستحيل، إذ لو وجب عليه

---

[24] – ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 33.

[25] – االمصدر نفسه ،ص 34-37-38.

[26] – المصدر نفسه ، ص 39.

[27] – الصدر نفسه ، ص40– 48.

تعالى فعل الصلاح و الأصلح كما تقوله المعتزلة لما وقعت محنة دنيا و أخرى ، و لما وقع تكليف بأمر و لا نهي ، و ذلك باطل بالمشاهدة ...[28]

ثم انتقل بعد ذلك إلى تأييد هذه العقائد بالبراهين العقلية أو الأقيسة البرهانية المعروفة في المنطق .مثل برهان وجوب الوجود فقال : " و أما برهان وجوده تعالى فحدوث العالم لأنه لو لم يكن له محدث بل حدث بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين مساويا لصاحبه راجحا عليه بلا سبب و هو محال ."[29] و مثل برهان الوحدانية فقال :" و أما برهان وجوب الوحدانية له تعالى فلأنه لو لم يكن واحدا لزم ألا يوجد شيء من العالم للزوم عجزه حينئذ ." [30] و أما برهان وجوب السمع له تعالى و البصر و الكلام فالكتاب و السنة و الإجماع و أيضا لو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها و هي نقائص و النقص عليه محال .[31]

و الملاحظ أن السنوسي لم يتحدث عن صفات الفعل أو الصفات الخبرية و إنما ذكر في شرحه لكلمة التوحيد أن التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب و السنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه و التجسيم و الجهة عملا بظاهر قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼطه: ٥ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﭼالملك: ١٦ و نحو ذلك قال تعالى : ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ آل عمران: ٧ ."[32]

ب– في كتاب العقائد الاسلامية : وردت الصفات في عقائد الإيمان في عشرين مسألة. و تضمنت وجود الله تعالى فـ: "هو الموجود الحقّ لذاته، الذي لا يقبل وجوده العدم، فهو القديم الذي لا بداية لوجوده وهو الباقي الذي لا نهاية لوجوده".[33] وسبق وجود الله تعالى لكلّ وجود فهو " الموجود الذي سبق وجوده كلّ وجود فكان تعالى وحده ولا شيء معه، ثمّ خلق ما شاء من مخلوقاته ."[34] واستدل ابن باديس بقوله تعالى: ﭽ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ الحديد: ٣ وﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الفرقان: ٥٩ وﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ الفرقان: ٢ وﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ يونس: ٣وﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ فصلت: ٩ - ١٢

[28] –ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ،ص 49 .

[29] –المصدر نفسه ،ص 49 .

[30] – المصدر نفسه ، ص 53.

[31] – المصدر نفسه ،ص 56 .

[32] – المصدر نفسه ،ص 78.

[33] – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص68 .

[34] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص70.

ثم غنى الله تعالى وحاجة المخلوقات إليه : " فهو الغني بذاته عن جميع الموجودات وهي المفتقرة كلّها ابتداء ودواما إليه ."[35] و ذلك لقوله تعالى: ﭽ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ فـــاطر: ١٥ - ١٧ و ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ المائـــدة: ١٧ و ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ ﭼ يــونس: ٣١ - ٣٢ و ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﭼ الأنعام: ١٤ والصّفات التّي ذكرها ابن باديس هي الصّفات السلبية .

اما المسألة الرابعة : فهي تظهر عقيدة ابن باديس في الصّفات الإلهية وهي عقيدة الإثبات والتنزيه إذ قال: "نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه على لسان رسوله من ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وننتهي عند ذلك ولا نزيد عليه وننزهه في ذلك عن مماثلة أو مشابهة شيء من مخلوقاته، ونثبت الاستواء والنّزول ونحوهما ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف، وبأنّ ظاهرها المتعارف في حقّنا غير مراد ."[36] و أنشد :

فنحن معشر فريق السنّة السّالكين في طريق الجنّة

نقول بالإثبات والتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه

وزاد عليهما معلّقا فقال: المعطّلون هم الذين ينفون الصّفات والمشبهون الذين يشبهونها بصفات المخلوقات وكلاهما على ضلال، أمّا السنيون: فهم الذين يثبتونها له تعالى وينزهونها عن التشبيه بالمخلوقات، والتعطيل تعطيل اللفظ عن دلالة معناه الحقيقي أو الخروج به إلى معنى آخر، والتشبيه تشبيه الله بمخلوقاته، فنحن نثبت لله ما أثبته لنفسه من أقوال أو أفعال أو صفات، ولا نشبه في شيء من ذلك بالمخلوقات، ولا غرابة في إثبات شيء مع عدم تكييفه في الإنسان ، يثبت أنّ بين جنبيه نفسا ولكن لا يستطيع تكييفها كذلك نثبت صفات الله بلا كيف.

المسألة الخامسة: في بيان عجز العقل عن إدراك حقيقة الذات الإلهية وصفاتها وتعتبر من قواعد العلماء في الصّفات وجاء فيها: "ولا تحيط العقول بذاته ولا بصفاته ولا بأسمائه ."[37] واستدل بقوله تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ البقـرة: ٢٥٥ ، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "اللّهم إنّي عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك

[35]– عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة ، ص72.

[36] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص74.

[37] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص76.

أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همّي وغمّي ."[38]

ثم ذكر صفة الحياة لله تعالى [39] و استدل بقوله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦﮧ ﭼ البقرة: ٢٥٥ و ﭽ □ □ □ □ □ □□ ﭼ طه: ١١ و ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ الفرقان: ٥٨

ثم ذكر صفة قدرة الله تعالى على إيجاد كلّ ممكن وإعدامه.[40] واستدل بقوله تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ البقـــــرة: ٢٠و ﭽ □ □ □ □ □ □ ﭼ الكهـــــف: ٤٥ و ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ ﭼ فاطر: ٤٤

ثم ذكر صفة الإرادة والمشيئة المطلقة في جميع الممكنات فيخصص تعالى ما شاء بما شاء.[41] و ذكر صفة العلم الذي تنكشف له تعالى جميع المعلومات من الواجبات والجائزات والمستحيلات، فيعلمها على ما هي عليه من الحالات، وتستوي عنده الجليات والخفيات.[42]

ثم أثبت صفتي السّمع والبصر، السّمع الذي تنكشف به جميع المسموعات والبصر الذي تنكشف به جميع المبصرات.[43]وأثبت أنّ من صفاته تعالى الكلام الذي يدل على جميع المعلومات.[44] و استدل بقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ النسـاء: ١٦٤ ، و ذكر بعد صفة الكلام "ونثبت الاستواء والنّزول ونحوهما ونؤمن بحقيقتهما على ما يليق به تعالى بلا كيف وبأنّ ظاهرها المتعارف في حقّنا غير مراد ."[45]

ثم ذكر صفة الوحدانية الله تعالى: " هو الواحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا ثاني له ولا نظير له ولا شريك له في ذاته، ولا ثاني له ولا نظير له ولا شريك له في أسمائه ولا ثاني له ولا نظير له ولا شريك له في صفاته، ولا ثاني له ولا نظير له ولا شريك له في أفعاله."[46] و استدل بقوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ الأنبيـاء: ٢٢ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ المؤمنـــــون: ٩١، و ﭽ □ □ ﯤ ﭼ فــــاطر: ٣ و ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭼ مـــريم: ٦٥ و ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ

[38] –أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1416هـ–1996م ، مج 6، ص 246– 247.
[39] – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص77.
[40] – عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ، ص77.
[41] – عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ، ص77.
[42] – عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ، ص78.
[43] – عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ،ص78.
[44] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ،ص79.
[45] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ،ص79.
[46] – عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص79.

ﭢ ﭣ ﭤ الشـــــورى: ١١. و ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ
ﭺ الإخلاص: ١ - ٤.

وما نلاحظه أنّ ابن باديس ذكر صفات المعاني السّبع ولم يذكر الصّفات المعنوية التي تقول بها الأشاعرة ، وإنّما ذكر الصّفات الخبريّة وأثبتها على مذهب السّلف خلافا للأشاعرة ، كما أنّه لم يذكر شيئا من براهين المتكلمين العقلية .

ثالثا : القدرة و الاختيار :

ا- **في شرح أم البراهين** : في شرح برهان وجوب الوحدانية لله تعالى في ذاته و في صفاته و في أفعاله يذهب السنوسي إلى ما ذهب اليه الاشعري من ان القدرة الحادثة لا توجد شيئا و يؤكد أنه : " لا أثر لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية كحركاتنا و سكناتنا و قيامنا و قعودنا و مشينا و نحوها ، لأن جميع ذلك مخلوق لمولانا جل و علا بلا واسطة . و قدرتنا أيضا مثل ذلك عرض مخلوق لمولانا جل و عز ، تقارن تلك الأفعال و تتعلق بها ، من غير تأثير لها في شيء من ذلك أصلا ."[47] و يرى بأنه لا تأثير للأسباب في مسبباتها مطلقا و إنما هو مجرد اقتران عادي و لا خالق إلا الله تعالى و يقول :" و إنما أجرى الله تعالى العادة أن يخلق عند تلك القدرة لا بها ما شاء من الأفعال ، و جعل سبحانه بمحض اختياره وجود تلك القدرة فينا مقترنة بتلك الأفعال شرطا في التكليف ."[48]

و على أساس هذا المفهوم يعرض نظرية الكسب الأشعرية "و هي أن أفعال العباد مخلوقة لله و ليس للإنسان فيها غير اكتسابها أي... الكسب هو تعلق قدرة العبد و إرادته بالفعل المقدور المحدث من الله على الحقيقة." [49] فيقول : " و هذا الاقتران و التعلق لهذه القدرة بتلك الأفعال من غير تأثير لها أصلا ، هو المسمى في الاصطلاح و في الشرع بالكسب و الاكتساب و بحسبه تضاف الأفعال إلى العبد ، كقوله تعالىﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ
□ ﭼ البقرة: ٢٨٦ ، أما الاختراع و الإيجاد فهو من خواص مولانا جل و عز ، لا يشاركه فيها شيء سواه ، تبارك و تعالى ، و يسمى العبد عند خلق الله تعالى فيه القدرة المقارنة للفعل مختارا ، وعندما يخلق الله تعالى فيه الفعل مجردا عن مقارنة تلك القدرة الحادثة مجبورا ، و مضطرا كالمرتعش مثلا ."[50]

ثم أخذ في بيان الفرق بين الاختيار و الجبر و هو التيسير و عدم التيسير فعلامة مقارنة القدرة الحادثة لما يوجد في محلها ، تيسره فعلا و تركا ، و علامة الجبر و عدم تلك القدرة عدم اليسر ، و إدراك الفرق بين هاتين الحالتين ضروري لكل عاقل ، كما أن الشرع جاء بإثبات الحالتين و تفضل بإسقاط التكليف في الحالة الثانية و هي حالة

[47] - ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين ، ص 53.

[48] - ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 53.

[49] - عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، 1997م ، ص 555.

[50] - ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 54-53.

الجبر دون الأولى ، قال تعالى : ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﭼ البقرة: ٢٨٦ أي إلا ما في وسعها بحسب العادة و أما بحيث العقل و ما في نفس الأمر فليس في وسعها أي طاقتها اختراع شيء ما [51].

ثم أخذ يرد على المذاهب المخالفة و هي الجبرية و المعتزلة فقال : " و بهذا تعرف بطلان مذهب الجبرية القائلين باستواء الأفعال كلها و أنه لا قدرة تقارن شيئا منها عموما ، و لا شك أنهم في هذه المقالة مبتدعة بله ، يكذبهم الشرع و العقل ، و بطلان مذهب القدرية ..القائلين بتأثير تلك القدرة الحادثة في الأفعال على حسب إرادة العبد و لا شك أنهم مبتدعة ، أشركوا مع الله تعالى غيره ."[52]

و عاد إلى بيان المذهب الاشعري في هذه المسألة بذكر الأمثلة فقال : " و كما أن هذه القدرة الحادثة لا أثر لها أصلا في شيء من الأفعال ، كذلك لا أثر للنار في شيء من الاحتراق أو الطبخ أو التسخين أو غير ذلك لا بطبعها و لا بقوة وضعت فيها ، بل الله تعالى أجرى العادة في اختيار منه جل و عز بإيجاد تلك الأمور عندها لا بها ، و قس على هذا ما يوجد من القطع عند السكين و الألم عند الجرح و الشبع عند الطعام...و بالجملة فلتعلم أن الكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لأثر ما بل جميعها مخلوق لمولانا جل و عز ابتداء و دواما بلا واسطة أصلا بهذا شهد البرهان العقلي و دل عليه الكتاب و السنة و إجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع .[53]

و أما البرهان العقلي على عدم تأثير القدرة الحادثة فهو :" ألا تأثير لشيء من الكائنات في أثر ما و إلا لزم أن يستغني ذلك الأثر عن مولانا جل و عز ، كيف و هو الذي يفتقر إليه كل ما سواه ، هذا إن قدرت أن شيئا من الكائنات يؤثر بطبعه و أما إن قدرت أن شيئا من الكائنات يؤثر بقوة جعلها الله تعالى فيه كما يزعمه كثير من الجهلة فذلك محال أيضا لأنه يصير حينئذ مولانا جل و عز مفتقرا في إيجاد بعض الأفعال إلى واسطة و ذلك باطل لما عرفت قبل من وجوب استغنائه جل و عز عن كل ما سواه "[54].

و كانت النتيجة التي وصل اليها السنوسي هي الحكم ببطلان مذهب القدرية القائلين بتأثير القدرة الحادثة في الأفعال مباشرة أو تولدا ، وببطلان مذهب الفلاسفة القائلين بتأثير الأفلاك و العلل و ببطلان مذهب الطبائعيين القائلين بتأثير الطبائع و الأمزجة و نحوها ...[55]

و قد ذكر الدسوقي على شرح السنوسي أن العقلاء على أربعة أقسام :فيهم من اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر في مسبباتها بطبعها و ذاتها و التلازم بينها عقلي و هذا كافر إجماعا ، و منهم من اعتقد أن الأسباب العادية تؤثر في مسبباتها بقوة أودعها الله فيها و التلازم بينهما عادي و هذا في كفره قولان ، و الصحيح عدم كفره ،

---

[51] – ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 54.

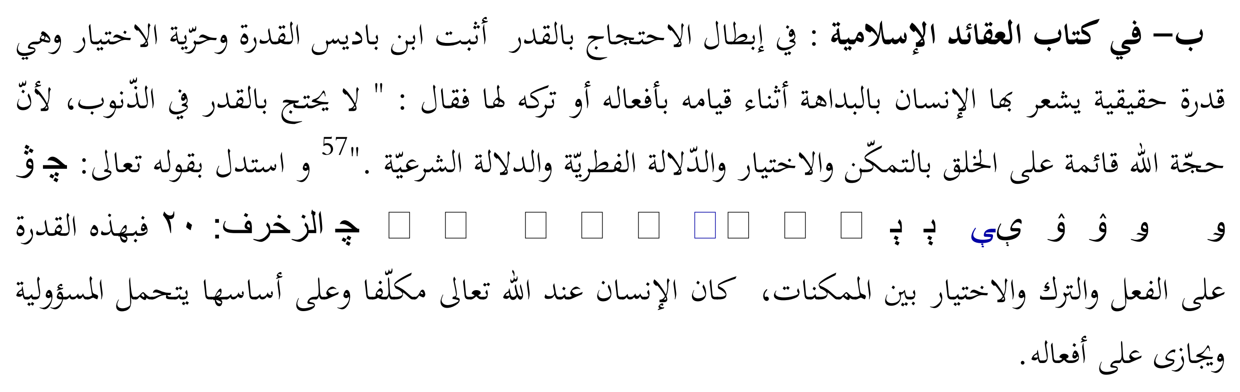
[52] – ابو عبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 54.

[53] – ابو عبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 54.

[54] – ابو عبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 76.

[55] – ابو عبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 76.

و من هذا يعلم عدم كفر المعتزلة لأنهم يقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقوة أودعها الله فيه و هي القدرة الحادثة التي خلقها الله فيه ، و منهم من يعتقد أن المؤثر في المسببات العادية كالإحراق و الري و الشبع هو الله وحده إلا أنه يعتقد أن الملازمة بين الأسباب و المسببات عقلية لا يمكن تخلفها فمتى وجدت النار وجد الإحراق و متى وجد الأكل وجد الشبع و هذا غير كافر إجماعا إلا أن هذا الاعتقاد جهل ..و منهم من يعتقد أن المؤثر في المسببات العادية هو الله وحده و أن الملازمة و المقارنة بين الأسباب و المسببات عادي يمكن تخلفه بأن يوجد السبب دون المسبب و هذا الاعتقاد هو المنجي عند الله و هو اعتقاد أهل السنة .[56]



ب– في كتاب العقائد الإسلامية : في إبطال الاحتجاج بالقدر أثبت ابن باديس القدرة وحرّية الاختيار وهي قدرة حقيقية يشعر بها الإنسان بالبداهة أثناء قيامه بأفعاله أو تركه لها فقال : " لا يحتج بالقدر في الذّنوب، لأنّ حجّة الله قائمة على الخلق بالتمكّن والاختيار والدّلالة الفطريّة والدلالة الشرعيّة ."[57] و استدل بقوله تعالى: **چ ۋ ۈ ۆ ۇ ۉې ې ﯦ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ چ الزخرف: ٢٠** فبهذه القدرة على الفعل والترك والاختيار بين الممكنات، كان الإنسان عند الله تعالى مكلّفا وعلى أساسها يتحمل المسؤولية ويجازى على أفعاله.

وبهذا نجد ابن باديس يوافق أهل السنّة والجماعة في إثبات قدرتين للعبد ، قدرة الأهلية تكون قبل الفعل وهي مناط التكليف وقدرة التنفيذ وهي التّي تكون مع الفعل. و يخالف الجبرية الذين ينفون القدرة ، ويخالف الأشاعرة الذين لا يثبتون للعبد إلاّ قدرة مع الفعل أو عند القيام به أمّا قبل الفعل (الطاعة والمعصية) فهم يقولون إنّ العبد غير قادر عليها.[58] ومن ذلك قولهم بعجز الكافر عن الإيمان وقد صرّح بذلك الأشعري في مجادلاته إذ قال : " يقال لهم : فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان، فما أنكرتم من أن يكونوا موفّقين للإيمان، ولو كانوا موفّقين مسدّدين لكانوا ممدوحين، وإذ لم يجز ذلك لم يجز أن يكونوا على الإيمان بقادرين، ووجب أن يكون الله تعالى اختص بالقدرة على الإيمان للمؤمنين ."[59]

وفي بيان مقتضيات توحيد الربوبية أثبت ابن باديس أنّ العبد لا يخلق أفعاله فقال :" ومن توحيده تعالى في ربوبيته، اعتقاد أنّ العبد لا يخلق أفعال نفسه، فهو ما لم يخلق ذاته ولم يخلق صفات ذاته كذلك لم يخلق أفعاله، غير أنّ له مباشرة لأفعاله باختياره، فبذلك كانت أعمالا له وكان مسئولا عنها ومجازى عليها وتلك المباشرة هي كسبه واكتسابه، فيسمّى العبد كاسبا ومكتسبا ولا يسمّى خالقا ."[60]

---

[56] – محمد الدسوقي ، حاشية محمد الدسوقي على شرح ام البراهين للسنوسي ، ص 47.

[57] – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة،ص95- 96.

[58] – أبو عبد الله محمّد حاج عيسى الجزائري، عقيدة ابن باديس السلفية وبيان موقفه من الأشعريّة، ص51.

[59] – الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، دار القادري للطباعة والنّشر والتوزيع،بيروت،ط1،1414ه –1991م ،ص138.

[60] – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة،ص86- 87.

و في هذا الكلام مخالفة صريحة للمعتزلة وموافقة لأهل السنّة واعتقاد السّلف في أفعال العباد في قوله: " فيسمّى العبد عاملا وكاسبا ومكتسبا ولا يسمّى خالقا " فهل يوافق ابن باديس الأشعري في قوله بالكسب ؟ إن الأشعري في الإبانة يؤكد أنّ " أعمال العباد مخلوقة لله مقدورة كما قال سبحانه: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ الصافات: ٩٦ ، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئا وهم يخلقون، كما قال: ﭽ □ □ □ □ ﯼ ﭼ فاطر: ٣ .[61] والأشعري يرى أنّ القدرة الحادثة لا توجد شيئا وينفي تأثيرها "بل الله تعالى يخلق الفعل بقدرته ويخلق للعبد قدرة متعلّقة بفعله ومقارنة في حدوثها لحدوثه، غير متقدمة عليه ولا مؤثرة فيه البتة . "[62] فالكسب الذي يقول به الأشعري هو اختيار مجازي لا تأثير له بينما أثبت ابن باديس للعبد اختيارا حقيقيا يؤثر ولا يخرج به عن مشيئة الله تعالى.[63]

و إثبات هذا الاختيار الحقيقي نجده في قوله : " ومن توحيده تعالى في ربوبيته : اعتقاد أنّ العبد لا يخرج في جميع تصرّفاته عن مشيئة الله، غير أنّ له اختيارا له يجده بالضّرورة من نفسه، ومشيئة يجدها كذلك فيما يمكنه من أفعاله كان بها مكلّفا، ثمّ هو لا يخرج بها عن مشيئة الله ."[64]

وعلى هذا يتبين أنّ الأشعري وافق أهل السنة والجماعة في القول بأنّ الله خالق أفعال العباد، وخالفهم في القول بعدم تأثير قدرة العبد الحادثة في الفعل إذ لا يوجد عنده تأثير للأسباب في مسبباتها مطلقا ، في حين يعتقد أهل السنة والجماعة بأنّ المسببات تحدث بالأسباب مع القول بأنّ الأسباب والمسببات مخلوقة لله تعالى وربطها بمشيئة الله وقدرته .[65]

5- أهم الملاحظات و نتائج الدراسة : بعد هذه الدراسة ، يمكن تسجيل هذه الاستنتاجات :

كتاب السنوسي و كتاب ابن باديس كلاهما كتاب مدرسي تعليمي . لقد شعر السنوسي بالحاجة إلى تبسيط المعلومات العقائدية على طلبة العلم بعد أن كلت العزائم ، فوضع المتن لسهولة حفظه ثم الشرح لتقريبه إلى الأذهان .وكان هدف السنوسي خدمة العقيدة من خلال نصرة المذهب الأشعري . بينما كان هدف ابن باديس تجديد العقيدة في إطار مشروع إصلاحي واسع و كان التجديد عنده يقتضي الرجوع إلى مصادر العقيدة الاسلامية و هي القرآن و السنة .

61 – الأشعري، الإبانة في أصول الدّيانة، ص26 .

62 – رزق الحجر، ابن الوزير اليمني ومنهاجه الكلامي، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر، د ط ، دون تاريخ ، ص 354 .

63– أبو عبد الله محمّد حاج عيسى الجزائري، عقيدة الإمام عبد الحميد بن باديس (1359هـ) السّلفية وبيان موقفه من الأشعريّة، عبد المعّز محمد علي فركوس، ط1،دار الإمام مالك، الجزائر، ط 1 ، 1424هـ – 2003م ، ص 51.

64 – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص 87.

65 – أبو إبراهيم الرّئيس، شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، نظرية الكسب عند الأشاعرة ونقضها، 2002م.

منهج الاستدلال على العقائد عند ابن باديس يقوم على الرجوع إلى القرآن و السنة ،بينما يستدل السنوسي بالبراهين العقلية على طريقة المتكلمين ،لهذا ظهرت مرجعية السنوسي أشعرية واضحة و مرجعية ابن باديس سلفية واضحة .

خلو كتاب ابن باديس من أقوال العلماء و الفلاسفة و أصحاب الفرق وتجنب الرد عليهم .بينما اهتم السنوسي بالرد على الفلاسفة و المعتزلة و الحشوية و الجبرية و الطبائعيين و عبدة الأوثان و غيرهم مع ذكر بعض الإسرائليات .

من حيث الأسلوب : أسلوب ابن باديس سهل و محبب و واضح من بداية الكتاب إلى نهايته و قد وجدنا ابن باديس يحدّد المعنى اللّغوي للموضوع العقدي ثم يضبط المعنى الشّرعي مستدلا بالآيات و الأحاديث الصّحيحة ، و هو يلمّ بجميع أطراف الموضوع بطريقة هي أشبه بطريقة التّفسير الموضوعي . و هو يجيد الاستشهاد بالآيات من حيث اختيار الآيات المناسبة و من حيث إحاطتها بالموضوع الذي يتحدث عنه و من حيث الاستدلال بها على كل ما يقوله في العقائد بشكل مختصر و دقيق.

بينما أسلوب السنوسي كلامي جاف . و الملاحظ أنه في شرح كلمة التوحيد كرر ما سبق ذكره من الصفات الواجبة و الصفات التي تنزه الخالق عن النقائص ، و لكنه عندما وصل إلى حكمها و فضلها و فوائدها تغير منهجه إذ أصبح يستشهد بالأحاديث و الروايات ، و تغير أسلوبه إلى السهولة و أصبحت لغته بليغة في مواضع مخصوصة هي ذكر الله بالمحامد و الحديث عن الآخرة و نعيمها و الحديث عن الايمان حديث واعظ لا حديث متكلم .

و يمكن أن نخلص إلى القول بأن ابن باديس قد أحيي بمنهجه في كتابه العقائد الطريقة السّلفية التي تعتمد على الكتاب و السنة ، مراعيا أحوال المخاطبين و حاجة المسلمين ، ومتجنبا طرق المتكلمين ، محررا مسائل الاعتقاد بأسلوب متين يخلو من التعقيد ، و بلغة واضحة سليمة .بينما ساهم السنوسي في تكريس المذهب الأشعري في التدريس.

الهوامش و الاحالات :

1 -محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط في القرن التاسع الهجري (15م) ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1902م ، دط ، ص 48 .

2- محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، ص 48.

3 - محمود بوعياد، المرجع نفسه ، ص 49- 56 .

4 - ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، تحقيق و تعليق مصطفى محمد الغماري ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989م ، ص 6.

5- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربيّة في الجزائر، ص126_55127

6 - محمود بوعياد ، جوانب من الحياة في المغرب الاوسط ، ص 7- 8 .

7 – عمار جيدل ، التأليف في درس العقيدة في الجزائر خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن التاسع الهجري – المدرسة السنية نموذجا – مجلة الدراسات العقدية و مقارنة الاديان ، عدد خاص باعمال الملتقى الدولي الاول حول الفكر العقدي عند علماء الجزائر ، ايام 19- 20 افريل 2005م ، ع 2، ربيع الاول 1426هـ /افريل 2005م ، ص 244.

8 ـ عبد الحميد بن باديس ، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ،رواية وتعليق محمد الصّالح رمضان، مكتبة الشركة الجزائريّة مرازقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، ط2، دون تاريخ، ص 18-19 .

9–محمد الدسوقي ، حاشية محمد الدسوقي على شرح ام البراهين لمؤلفها محمد السنوسي ، و بهامشها الشرح المذكور، دار الطباعة بمصر ، 1290هـ ، ص 17-22- 23- 26.

10– عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة، ، ص 13.

11 – ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 25.

12– ابوعبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 25.

13– ابوعبد الله السنوسي ، المصدر نفسه ، ص 25.

14 - محمد الدسوقي ، حاشية الدسوقي على شرح ام البراهين ، ص 66.هذه العبارة سقطت في شرح ام البراهين و مثبتة في حاشية الدسوقي .

15 – محمد الدسوقي ، المرجع نفسه، ص 67.

16– ابو عبد السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ص 25.

17 – المصدر نفسه ، ص 26.

18– المصدر نفسه ، ص 27.

19– عبد الحميد بن باديس، ، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص 38

20- المصدر نفسه ، ص 38

21- المصدر نفسه، ص 39

22– أبو بكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير لكلام العليّ الكبير، مج 1، دار الفكر للطباعة والنشر، ط 3، 1419هـ – 1998م، ص 536 - 537 .

23- عبد الحميد بن باديس،، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص 40

24– ابوعبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 33.

25– االمصدر نفسه ،ص 34-37-38.

26 – المصدر نفسه ، ص 39.

27– المصدر نفسه ، ص40– 48.

28–ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ،ص 49 .

29–المصدر نفسه ، ص 49 .

30– المصدر نفسه ، ص 53.

31 – المصدر نفسه ،ص 56 .

32 – المصدر نفسه ،ص 78.

33- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص68

34- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص.70

35- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، 72

36 - عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص74.

37- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص76

38-أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1416هـ-1996م ، مج 6 ، ص 246- 247.

39- عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص77

41 - عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ، ص77

42 - عبد الحميد بن باديس، نفسه المصدر ، ص78

43 - عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص78

44 - عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص79.

45- عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص79

46 - عبد الحميد بن باديس، المصدر نفسه ، ص79

47- ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين ، ص 53.

48- ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 53.

49- عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت، لبنان ، 1997م ، ص 555.

50- ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 54-53.

51- المصدر نفسه ، ص 54.

52- المصدر نفسه ، ص 54.

53- ابو عبد الله السنوسي ، شرح ام البراهين في علم الكلام ، ص 54.

54- المصدر نفسه ، ص 76.

55 - المصدر نفسه ، ص 76.

56- محمد الدسوقي ، حاشية محمد الدسوقي على شرح ام البراهين للسنوسي ، ص 47.

57 - عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص95- 96

58 - أبو عبد الله محمّد حاج عيسى الجزائري، عقيدة ابن باديس السلفية وبيان موقفه من الأشعريّة، ص51

59 - الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، دار القادري للطباعة والنّشر والتوزيع،بيروت،ط1،1414هـ -1991م ،ص138

60 - عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص86- 87

61 - الأشعري، الإبانة في أصول الدّيانة، ص26 .

62 - رزق الحجر، ابن الوزير اليمني ومنهاجه الكلامي، ديوان المطبوعات الجامعة الجزائر، د ط ، دون تاريخ ، ص 354

63- أبو عبد الله محمّد حاج عيسى الجزائري، عقيدة الإمام عبد الحميد بن باديس (1359هـ) السّلفية وبيان موقفه من الأشعريّة، عبد المعّز محمد علي فركوس، ط1،دار الإمام مالك، الجزائر، ط 1 ، 1424هـ – 2003م ، ص 51.

64 – عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة، ص .87

65 – أبو إبراهيم الرّئيس، شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، نظرية الكسب عند الأشاعرة ونقضها، 2002م.